جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

جماليات رثاء المكان في الأدب العربي

حتى القرن الثامن الهجري

دراسة تقابلية في الأدبين المشرقي والمغربي

رسالة دكتوراه مقدمة من:

الباحثة/ منى يحيى زيد المحاقري

إشراف

أ.د/ ثناء أنس الوجود ربيع

أستاذ الأدب والنقد

كلية الآداب – جامعة عين شمس

2005م

جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة دكتوراه

اسم الطالب : منى يحيى زيد المحاقري

عنوان الرسالة: جماليات رثاء المكان في الأدب العربي حتى القرن الثامن الهجري دراسة تقابلية في الأدبين المشرقي والمغربي

اسم الدرجة: الدكتوراه

لجنة الإشراف:

أ. د/ ثناء أنس الوجود ربيع

تاريخ البحث: / / 2005

الدراسات العليا

ختم الإجازة **أجيزت الرسالة بتاريخ**

/ / 2005

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

صفحة العنوان

اسم الطالب : منى يحيى زيد المحاقري

الدرجة العلمية: دكتوراه

القسم التابع له: اللغة العربية

اسم الكلية: الآداب

الجامعة: عين شمس

سنة التخرج: 2000م

سنة المنح: 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلْ رَبَّ أَدْخِلْنِـي مُـدْخَلَ صِـدْقٍ وَأَخْرِجْنِـي مُـخْـرَجَ صِـدْقٍ وَاجْعَلْ لِـي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى أستاذتي الدكتورة الفاضلة ثناء أنس الوجود ربيع، فهي أهل لكل الثناء، وجديرة بكل التقدير والاحترام.

وقد شرفت بإشرافها العلمي الدقيق على هذه الرسالة،كما حظيت بنصح حكيم وتوجيه حنون تكتنفه مشاعر الأمومة الفياضة،والعطاء المخلص، فمثلت لي بذلك القدوة الطيبة،إنسانة وأستاذة سمتها التواضع،وديدنها التعاون مع أبنائها من الباحثين والباحثات.

ولقد حاولت قدر الاستطاعة أن أنهج نهجها العلمي الذي ينفذ إلى عمق النص الأدبي بصرامة علمية ورفاهة نقدية.

كما حاولت جاهدة الإفادة من كل الملاحظات القيمة التي تابعت بها هذا العمل منذ تشكله كفكرة وحتى تبلوره في هذا الجهد المتواضع. وربما كانت ملاحظاتها تلك هي كل ما يمكن أن يحمد في هذا العمل لما له من قيمة علمية وأثر نبتغيه.

ولا أنسى أن أذكر بكل التقدير والتبجيل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن – رحمه الله – الذي لا أنسى تشجيعه لي، ومتابعته الحثيثة لي، والذي تعلمت منه دقة البحث وصرامة المنهج العلمي. وأمثاله من العلماء الأفاضل لا يموتون، بل تظل أرواحهم باقية من خلال ما زرعوه فينا من احترام للعلم، وبما تركوه لنا من ثروات علمية، تزداد بأخذنا منها، ومناهج علمية تتطور بإتباعنا لها.

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة والحكم على هذه الرسالة، والذين أرجو أن ترمق أعينهم هذه الرسالة بعين الرعاية والعطف، وأن تمتد أناملهم البصيرة فتحدد مواضع القصور، وتصوب مواقع الخلل، وتُقَوّم ما حدت فيه عن المنهج العلمي القويم، وأن تتقبل صدورهم الرحبة أخطاء المجتهدين من أبنائهم الباحثين، متطلعة إلى ملاحظاتهم القيمة التي لن يستوي عملي بدونها، والتي سأعمل على الإفادة منها في تنقية هذا العمل مما قد يكون قد أصابه من هفوات، وما كدر منهجه من شوائب، وسأعمل على إكمال ما قد نقصني من معلومات، وما قد فاتني من مراجع ومصادر، باذلة قصارى جهدي كي يخرج هذا العمل كما يجب أن يكون عليه العمل العلمي المنهجي.

ولا يفوتني أن أعبر عن اعتزازي البالغ بأرض الكنانة مصر، فأية كلمات يمكن أن تفي لهذا البلد المعطاء حقه، فبعد أكثر من خمسة وعشرين عاماً قضيتها في كنف كريم وحضن رحب، في قلب مصر النابض، قبلة العلم وكعبة المعرفة، أجد نفسي عاجزة عن التعبير عما يجيش بنفسي من مشاعر الامتنان والوفاء نحو هذا المكان الذي لم يكن فضله فقط أني تعلمت فيه أبجديات القراءة فحسب، بل تشكلت فيه شخصيتي، وتفتحت في مداركي العلمية والشخصية، على أفق ممتد امتداد نهر النيل العظيم، وامتداد حضارة تضرب بجذورها في أعماق السنين.

وستظل علاقتي بهذا المكان – ما حييت – علاقة المحبة التي سيرعاها الوفاء.

أما وطني الحبيب – اليمن – هذا الوطن الساكن في القلب مذ غادرته، فأرجو من الله أن أقضي ما تبقى من عمري بين ربوعه الخضراء وفوق جباله الشامخة، أساهم في رفعته، وأساهم في تشييد نهضته، فالمسئولية الملقاة على عاتقي كبرى، فبعد سنوات من الارتحال والأخذ، حان وقت العطاء والبذل، وأنا على عهد بألا وأن أبذل قصارى جهدي حتى آخر قطرات عمري.

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد،،،

فقد قال العمادُ الأصفهاني:

إني رأيتُ أنه لا يكتبُ إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني الكاتب

(ت: 597هـ)

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	**9-1**
التمهيد: مفهوم الجمالية في النص الشعري	**14-10**
الفصل الأول: المكان في النص الشعري	**52-15**
- أهمية المكان	**16 -15**
- الإطار المفاهيمي للمكان.	**17-16**
- المكان الفني.	**19-18**
- المكان في النقد الأدبي الحديث	**23-20**
- خصوصية المكان فى النص الشعري	**27-24**
- أبعاد المكان في النص الشعري.	**52-28**
الفصل الثاني: شعر رثاء المكان في الشعر الجاهلي	**95-53**
- خصوصية المكان في العصر الجاهلي	**59-53**
- تجليات غياب المكان في الشعر الجاهلي.	**62 -59**
- جماليات الصورة الطللية في الشعر الجاهلي.	**73-62**
- إشكالية الفناء في شعر رثاء الدول والقصور في الشعر الجاهلي	**95-73**

الفصل الثالث: شعر رثاء المكان في المشرق العربي	**179 -96**
- المكان في المشرق العربي	98-96
- رثاء بغداد إثر فتنة الأمين والمأمون	112-99
- رثاء بغداد بعد خرابها على يد التتار	124-113
- رثاء البصرة إثر ثورة الزنج	135 -124
- رثاء المدن التي دمرها الصليبيون	145 -135
- رثاء الأماكن المدمرة إثر الكوارث الطبيعية	153 -145
- رثاء القصور في المشرق العربي	**168**-154
- رثاء الدول والخلافات في المشرق العربي	**179 -168**
الفصل الرابع: شعر رثاء المكان في المغرب والأندلس	**294-180**
- المكان والشعر في الأندلس	**187 -183**
- رثاء قرطبة إثر الفتنة البربرية	**209 -187**
- رثاء القيروان	**222-209**
- رثا المدن التي سقطت أمام الغزو النصراني	**284 -222**
- رثاء الدول والممالك في المغرب والأندلس	**294-284**
الفصل الخامس: تحولات قصيدة رثاء المكان من المشرق إلى المغرب	**349 -295**

– تحولات بناء القصيدة	303 –295
– تحولات البنية النصية (التناص)	314 –304
– تحولات البنية المعجمية	320–315
– تحولات البنية المجازية	331 –321
– تحولات البنية الإنشائية	341 –332
– تحولات البنية البديعية	349 –341
الخاتمة	**356–350**
قائمة المصادر والمراجع **ملخص الرسالة باللغة العربية** **ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية**	**373–357**

المقدمة

كثيراً ما يُقَيّد موضوع الدراسة الباحث في الشعر العربي، ويجعله لا يلتفت إلى كثير من السمات الجمالية، والخصائص الأسلوبية للقصائد محل الدراسة.

وقد وقع اختياري على موضوع "جماليات رثاء المكان" في الأدب العربي حتى القرن الثامن الهجري، دراسة تقابلية في الأدبين: المشرقي، والمغربي.

ولقد حاولت من خلال البحث في هذا الموضوع الإلمام بأطراف الشعر العربي القديم، خاصة بعد أن حاولت دراسة الشعر الجاهلي في أطروحتى للماجستير عن صورة الفرس في الشعر الجاهلي، دراسة سيميولوجية[1] فآثرت أن استكمل المسيرة مع الشعر العربي في عصوره اللاحقة، في المشرق والمغرب معاً، من خلال موضوع تناوله الشعراء – على تفاوت فيما بينهم – على مر عصور الأدب العربي، وهو موضوع يتعلق برثاء الشاعر للمكان المدمر.

وفن رثاء المكان لا ينفصل عن فن وصف المكان المعروف في الشعر العربي في المشرق والمغرب. ولا جدال في أن شعر رثاء المكان، هو صورة من صور وصف المكان، ولكنه يختص بوصف المكان الغائب، والمفقود، بعد أن كان حاضراً مشيداً متمثلاً في منزلٍ عامرٍ، أو قصرٍ مَشِيد، أو حضارة سامقة.

إن الغرض الرئيسي من هذه الرسالة، هو دراسة خصائص قصيدة رثاء المكان في الأدب العربي، واستكناه مدى التفاعل بين الشعر العربي في المشرق وفى المغرب والأندلس، من خلال موضوع رثاء المكان، وذلك في إطار الخصائص العامة للقصيدة العربية في شكلها المعياري المتمثل في نموذج القصيدة الجاهلية.

إن الموضوع في هذه الدراسة، ليس إلا أحد الضوابط المهمة التي تحدد نطاق الدراسة، بالإضافة إلى الحدود التاريخية التي ستمتد حتى بداية القرن الثامن الهجري.

لذلك فإن هذه الدراسة تتحرك عبر مسارين متعامدين، المسار الأول: مكاني، ثابت يرصد تحولات بنية قصيدة رثاء المكان (عبر المكان)، من المشرق إلى المغرب والأندلس، وهو

---

(1) صورة الفرس في الشعر الجاهلي (دارسة سيميولوجية)، قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة عين شمس، 2000م، تحت إشراف الأستاذة الدكتورة: ثناء أنس الوجود ربيع.

المحـور الآنـي (Syncronic) ، والمسـار الآخـر ، مسـار زمـاني متحـرك يرصـد تحـولات بنيـة قصـيدة رثـاء المكـان (عبـر التـاريخ) مـن العصـر الجـاهلي، وحتـى القـرن الثـامن الهجـري، وهـو المحور التاريخي (Daicronic).

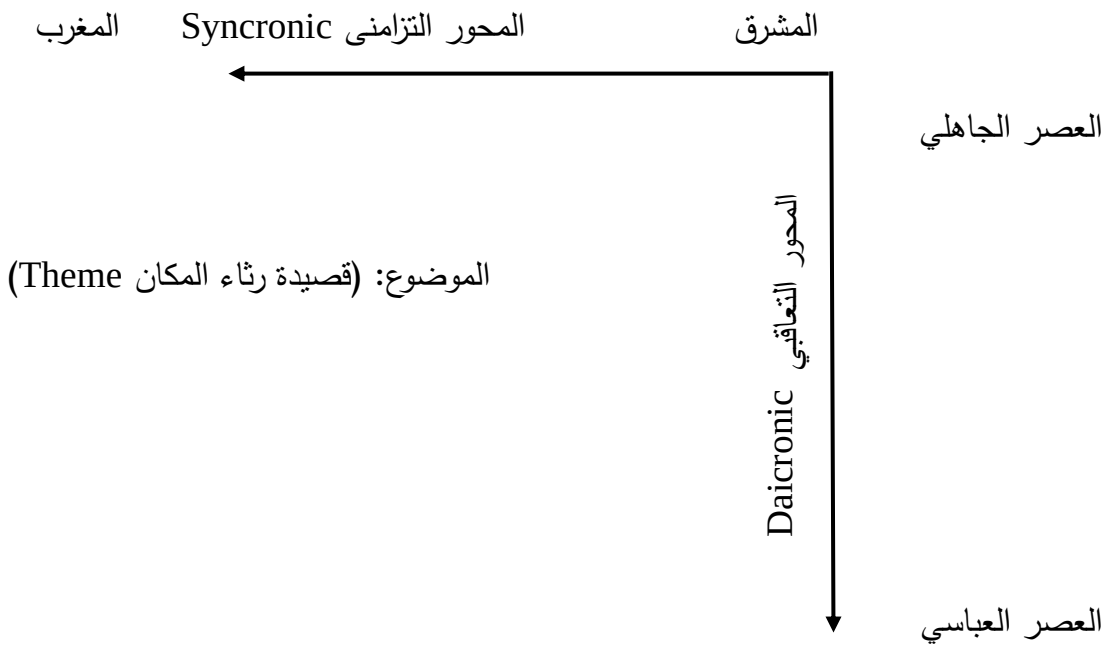

وما بعده حتى ق 8 هـ

وعلى الرغم من هذا الاتساع المكاني، وهذا الامتداد الزماني الذي قد يؤخذ على البحث، إلا أنه كان ضرورة فرضها منهج الدراسة التقابلي، والذي يحاول تتبع التطورات والتحولات التي طرأت على القصيدة العربية، بغرض الكشف عما هو ثابت وجوهري في بنية القصيدة العربية، والوقوف على مواضع الإبداع والتجديد والابتكار التي طرأت على بنية هذه القصيدة.

كما حاولت من خلال اختيار الموضوع أو (تيمته) الرئيسية (Theme) وهو موضوع رثـاء المكـان تحديـداً أن أتغلـب علـى هـذا الاتسـاع والشـمول الـذي يشـم البحـث بالعموميـة واللاموضوعية العلمية[1].

(1) (Theme): موضوع أو قضية، تيمة، ويفرق بعض النقاد بين الفكر (Theme) والموضوع (motif) على أساس أن الفكرة مجردة، والموضوع مجسد، انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، د: محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى 1996، ص117.

ومن خلال التحديد الدقيق للموضوع، ومن خلال الانتقاء للقصائد، والنماذج محل التحليل، حاولت أن أبتعد قدر الإمكان عن السطحية، وأن أقترب قدر الاستطاعة من العمق العلمي والدقة المنهجية.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن هدف هذا البحث بأية حال من الأحوال، التأريخ لقصيدة رثاء المكان أو البحث عن أسبقية المشرق، أو إثبات تأخر المغرب في تناول هذا الموضوع، فالأدب لا يُقَيّم بالأولية أو من بدأ ومن تأخر، وإنما يُقيّم بالإبداع، والأصالة، والتفرد.

فالهدف من الدراسة هو هدف (نصي) تحليلي عبر منهج نصي، لا يرفع عينه عن النص إلا بقدر ما يضيء النص ويكشف أسراره.

فنحن هنا لسنا بصدد التأصيل أو التأريخ لفن رثاء المكان، ولكننا بصدد التحليل النصي بغرض كشف جماليات هذه الأعمال الشعرية.

إن ما يمنح هذا الموضوع حيوية، لا يتمثل في اتساع المساحة التي يشغلها ضمن مدونة الشعر العربي القديم، حيث إن القصائد الخالصة والنماذج المكتملة من هذا الفن، يمكن أن تكون معدودة إذا قيست بالنسبة لموضوعات الشعر العربي الأخرى، كالغزل والمديح والوصف مثلاً، ولكن قيمتها تكمن في أنها تصور موقف الشاعر من المكان المدمر بوصفه رمزاً معنوياً مهماً يرتبط بالهوية والانتماء، لا إلى جنس أو عرق أو نسب، ولكن إلى أرض ومكان.

إن هذه القصائد – على قلتها – تقف أمام كم هائل من القصائد التي تعلي من قيمة الفرد وتمجده على أسس غير موضوعية، تلك المتمثلة في قصائد المديح، والغزل.

وبالإضافة إلى قلة القصائد التي قيلت في هذا الموضوع فإن أكثر هذه القصائد غير خالصة لنفس الفكرة، فالملاحظ في قصائد رثاء المكان، أن بنية النص تأخذ مسارات عديدة، فالشاعر لا يقع في أسر هذا الموضوع دون أن تجذبه أغراض شعرية أخرى إليها، من مديح، وغزل، ووصف وهجاء، ووعظ.

لذلك يلاحظ اختلاط موضوع رثاء المكان بالموضوعات الأخرى، حتى صعب على كثير من الدارسين استخلاص قصائد رثاء المكان، وذلك نتيجة لاختلاف ردود أفعال الشعراء تجاه نفس الحدث المتعلق بسقوط المكان، فهذا يرثي قومه دون التفات إلى المكان، وهذا يمدح الخليفة السابق، وهذا يستنجد ويستصرخ، وهذا يحن إلى الوطن وإلى ملاعب الصبا، وذاك يعظ ويعلل

أسباب السقوط والهزيمة. ولهذا رأينا هذا الموضوع يدخل ضمن دراسات عدة، ويظهر تحت مسميات مختلفة، منها: شعر الاستصراخ، أو شعر رثاء الدول والممالك الزائلة، ومرة نجده يختلط بشعر الحنين إلى الأوطان.

وما رأيناه في هذه الدراسة هو الارتباط بالمكان ككيان مادي محدد، وما يصيبه من دمار أو خراب نتيجة للحروب السياسية غالباً، مبتعدين في ذلك عن موضوع الحنين والتشوق، حيث إنه موضوع جدير بالدراسة المستقلة.

أما شعر الوقوف على الأطلال – وهو الأساس الفعلي والجذر الأصلي لهذا الفن – فلم يكن بالإمكان تجاوزه، بوصفه أول موقف فطري، وأول مواجهة بين الشاعر والمكان المفقود، وهو يعبر عن تجربة الإنسان في علاقته مع المكان، في مقابل تجربة أخرى احتلت مساحة كبيرة من ديوان الشعر العربي؛ ألا وهي تجربة الإنسان في علاقته المتوترة مع الزمان.

لقد كان من الصعوبة بمكان تناول شعر رثاء الأطلال في تطوره في الشعر العربي، لاتساع هذا الموضوع، وتحوله إلى تقليد فني مؤسس لا في القصيدة الجاهلية فحسب، بل في القصيدة العربية ولوقت طويل، وقد حاولت تتبع هذا الموضوع في بداياته الأولى في العصر الجاهلي، حيث كان أكثر تعبيراً عن الموقف الوجودي للشاعر الجاهلي في علاقته بالمكان المفقود، بينما فقد هذا المعنى في العصور اللاحقة.

لم يكن موضوع رثاء المكان في الشعر العربي جديداً تماماً على مستوى الدرس العلمي والبحث الأكاديمي، فهناك عدد من المؤلفات والدراسات العلمية الرصينة التي تناولت هذا الموضوع من جوانب مختلفة، ويمكنني أن أشير إلى بعض هذه الدراسات الجادة مثل: دراسة بعنوان: "رثاء المدن في الشعر الأندلسي"، للدكتور عبد الله محمد الزيات، والتي وقف فيها وقفات متأنية عند الأدوات الأسلوبية التي استعملها شعراء رثاء المدن في الأندلس، بالإضافة إلى عدد من النماذج والقصائد المكتملة في هذا الفن[1].

(1) رثاء المدن في الشعر الأندلسي، دكتور عبد الله الزيات ، منشورات جامعة قار يونس، تونس 1990.

وكذلك دراسة الدكتورة "مهجة أمين الباشا"، حول رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي، والتي ركزت فيها على اتجاهات هذا الفن وخصائصه الفنية[1].

بالإضافة إلى العديد من الكتب والمؤلفات في الأدب الأندلسي، والتي تناولت هذا الموضوع ضمن مباحثها، وهي كثيرة نذكر منها مؤلفات الدكتور الطاهر مكي مثل كتاب دراسات أندلسية[2].

ومؤلفات الدكتور مصطفى الشكعة مثل: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه المختلفة، والدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي، (عصر الدول والإمارات: الأندلس) وكتاب الدكتور جودت الركابي في الأدب الأندلسي، ومؤلفات الدكتور سعد إسماعيل شلبي في الأدب الأندلسي، والدكتور عبد العزيز عتيق، والدكتور أحمد هيكل، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور حكمة الأوسي.

وكذلك كتابات المستشرقين مثل: ليفي بروفنسال، وإميلو غرسيه غومس، وهنري بيرس، وماريا خيسوس روبييرامتى.

وغيرها من المراجع المهمة التى أثرت المكتبة الأندلسية، والتي سنشير إليها عند الرجوع إليها في مواضعها من هوامش الدراسة وفهارسها[3].

ومما يلاحظ على مثل هذه الدراسات، أن جل اهتمامها كان منصباً على الأدب الأندلسي، وإن لم تخل من الإشارة إلى بعض القصائد المشرقية التى كتبت في رثاء المدن، ولكن هذه الدراسات كانت تهتم بدراسة الأدب الأندلسي، مما يفرض عليها الابتعاد عن الأدب المشرقي، بينما لم يلفت هذا الموضوع إلا قليلاً من دارسي الأدب المشرقي، حيث لم يتم تناوله بشكل مستقل[4].

---

(1) رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي، دكتورة مهجة أمين الباشا، الطبعة الأولى، 2003، شراع للدراسات والنشر، دمشق، سوريا.

(2) دراسات أندلسية، الدكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثالثة، 1987، دار المعارف، القاهرة.

(3) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، الدكتور: مصطفي الشكعه، دار العلم للملايين، بيروت.

(4) انظر على سبيل المثال: رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي، عبد الله عبد الرحيم السوداني ، حيث تناول رثاء المدن في المشرق في إطار رؤية لفن رثاء غير الإنسان عامة. دار المدى، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2000م.